مقدمة

لا يظنَّ أحدٌ أنَّ هناك عزاً بغير جهد، أو كرامةً بدون كفاح، أو نصراً بدون هويَّة وغاية وهدف يُسعىٰ إليه ويُعمل علىٰ تحقيقه. وكل ذلك يحتاج إلىٰ جهاد طويل، وعمل متواصل. والجهاد في شرعنا، فريضةٌ لازمة.

ومن الجهاد في الإسلام ـ أيها الحبيب: عاطفة حيَّة قويَّة تفيض حناناً إلىٰ عزِّ الإسلام ومجده، وتهفو شوقاً إلىٰ سلطانه وقوَّته، وتبكي حزناً علىٰ ما وصل إليه المسلمون من ضعفٍ، وما وقعوا فيه من مهانة، وتشتعل ألماً علىٰ هٰذه الحال الذي لا يُرضي الله ولا يُرضي محمداً ـ عليه الصلاة والسلام، ولا يُرضي نفساً مسلمة وقلباً مؤمناً. كما ورد في الحديث: «**ومن لَمْ يَهْتَم بأمْرِ المسلمينَ فَلَيْسَ مِنْهُم**»(١).

لِمِثْلِ هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إيمان وإسلام

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن يحملك هٰذا الهمّ الدائم والْجَوَىٰ اللاحق علىٰ التفكير الجديّ في طريق النَّجاة، وتَلَمُّس سبيل الخلاص، وقضاء وقت طويل في فكرة عميقة تمحص بها سُبُل العمل وتَتلمس فيها أوجه الْحِيَل، لعلَّك تجد لأمَّتك منفذاً أو تصادف منفذاً، ونية المرء خير من عمله، والله ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [غافر: ١٩].

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن تنزل عن بعض وقتك ومالك وبعض مطالب نفسك، لخير الإسلام وبني المسلمين... فإنْ كنتَ قائداً، ففي مطالب القيادة تُنْفق. وإن كنت تابعاً، ففي مساعدة الدَّاعين تفعل، وفي كُلِّ خير: ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**﴾ [النساء: ٩٥]، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿**مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [التوبة: ١٢٠].

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن تأمر بالمعروف وتنهَىٰ عن المنكر، وأن

---

(١) المقاصد الحسنة (١/ ٢٢٤)، وكشف الخفاء (٢٦١٧) (٢/ ٢٧٩). من حديث أنس رضي الله عنه.

تنصح لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وأن تدعو إلىٰ سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. وما ترك قوم التناصح إلَّا ذلّوا، وما أهملوا التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر إلا خُذلُوا: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن تتنكَّر لمن تنكَّر لدينه، وأن تقاطع من عادىٰ الله ورسوله، فلا يكون بينك وبينه صلة ولا معاملة ولا مؤاكلة ولا مشاربة، وفي الحديث الأول: «**إنَّ أوَّلَ ما دَخَلَ النَّقْصُ على بني إسرائيل أنَّه كان الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُل فيقول: يا هذا! اتَّقِ اللَّه ودَعْ ما تصنع فإنَّهُ لا يحلّ لك، ثم يلقاه من الغَدِ وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوبَ بعضهم ببعضٍ**»(١).

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن تكون جندياً لله تقف له نفسك ومالك لا تبقي علىٰ ذلك من شيء، فإذا هدّد مجد الإسلام وديست كرامة الإسلام ودُوِّي نفير النهضة لاستعادة مجد الإسلام، كنت أول مجيب للنداء وأول متقدّم للجهاد: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، وفي الحديث: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُو وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ النِّفَاقِ**»(٢).

ومن الجهاد في سبيل الله ـ أيها الحبيب: أن تعمل علىٰ إقامة ميزان العدل، وإصلاح شؤون الخلق، وإنصاف المظلوم، والضرب علىٰ يد الظالم مهما كان مركزه وسلطانه. وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الجِهَادُ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ ـ أو أمير ـ جَائِرٍ**»(٣).

وعن جابر ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةَ بن عبد المطلب ورَجُلٌ**

---

(١) السلسلة الضعيفة (١١٠٥)، قال الألباني: «ضعيف». وضعيف الترغيب والترهيب (١٣٨٨): «حديث ضعيف»، كتاب الحدود وغيرها (٢/ ٥٢). عن ابن مسعود ﷺ. رواه أبو داود ـ واللفظ له ـ والترمذي وقال: «حديث حسن غريب».

(٢) مشكاة المصابيح (٣٨١٣): «حديث صحيح»، كتاب الجهاد (٢/ ٣٦٧) رواه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ. كشف الخفاء (٢٦٢٢) (٢/ ٢٨٠).

(٣) أبو داود (٣٧٨١)، باب الأمر والنهي (١١/ ٤١٩). ابن ماجة (٤٠٠١)، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١٢/ ١٥). من حديث أبي سعيد الخدريّ ﷺ.

قَامَ إلى إمامٍ جَائرٍ فأمَرَهُ ونَهَاهُ فَقَتَلَهُ»(١).

ومن الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالىٰ، إن لم تُوَفَّقْ إلىٰ شيءٍ من ذلك كله: أن تُحبَّ المجاهدين من كل قلبك وتنصح لهم بمحض رأيك، وقد كتب الله لك بذلك الأجر وأخْلاكَ من التَّبِعَة. ولا تكن غير ذلك، فيطبع الله علىٰ قلبك ويؤاخذك أشدّ المؤاخذة: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلا عَلَى الَّذِينَ لا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٩١ ـ ٩٣].

وبعد، فهٰذه بعض مراتب الجهاد في الإسلام ودرجاته، فأين المسلمونَ من هٰذه الدرجات؟!

فإمَّا أنَّهم محزونون لِمَا وصلَ إليه حال المسلمين، فَعَلِمَ الله أن أحدهم يجد من ذلك ما يذيب لفائف قلبه، وينال من أعماق نفسه، ويحزّ في قرارة فؤاده ويمنعه في كثير من الأحايين الأُنس بأهله وإخوانه ويمنعه المتعة بكل ما في الوجود من لذَّةٍ وجمال.

وإمَّا أنهم يفكرون في سبيل الخلاص، فعلم الله أنه ما من فكرة تحتل أفكارهم وما من خطة تستهوي عواطفهم، وما من شأن يشغل عقولهم، كهٰذا الشأن الذي ملك عليهم رؤوسهم وقلوبهم واستبدَّ منهم بشعورهم وتفكيرهم.

وإمَّا أنهم يبذلون في هٰذا السبيل وقتاً ومالاً، فحسبك أن تزور المخلصين في الأمة؛ لترىٰ عيوناً قد أذبلها السهر، ووجوهاً أشحبها الجهد، وجسوماً أضناها النَّصَب وأخذ منها الإعياء علىٰ أنها فتية بإيمانها قويَّة بعقيدتها، وشباناً يقضون ليلهم إلىٰ ما بعد انتصافه مكبين علىٰ المكتب أو عاكفين علىٰ المناضد وأترابهم في لهوهم وأنسهم ومنعتهم وسمرهم. ورُبَّ عين ساهرة لعين نائمة، وإنَّما يحتسبون ذلك عند الله ولا يمتنون به ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧].

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين للحاكم (٤٨٧٢) (١١/ ٢١٤): «صحيح الإسناد».

فإذا سألتَ عن المال الذي يُنفق على دعوتهم، فما هو إلَّا مالهم القليل، يبذلونه في سخاء ورضاء وطمأنينة، وأنهم ليحمدون الله إذا ترفت نصيحتهم بالمال من درجة السخاء بكماليات العيش إلى درجة الاقتصاد من ضرورياته وإنفاق ما يقتصد في سبيل الدعوة ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]. ما أسعدنا أن يقبل الله ذلك منَّا وهو منه وإليه!

وأخيراً، نسأل الله التوفيق للجميع.

آمين، وهو نعم المولى ونعم النصير.

* * *